



(1) حين بدأت رحلتي من أنطاكيا باتجاه كليس لأعبر الحدود التركية إلى سوريا الحبيبة في يوم من أيام آيار (مايو) من عام 2012، كان ينتابني كثير من القلق وأنا المتشوق بل واللاهث وراء أقدامي شوقاً لرؤية حلب الشهباء التي لم أرها منذ ثلاثة عاماً، حين أرغمت على مغادرة سوريا مع عشرات الآلاف من أمثالي..

كل من عايش فترة الثمانينيات - كأمثالى - من بطش إجرامي لنظام طائفي لا علاقة له بشيء من الإنسانية يخشى العودة... فالعودة لأمثالنا هي عودة إلى السجون في أية لحظة كون الذاكرة لا تزال تذخر بأساليب قمع النظام وسطوته وقوته بحق معارضيه.

لكن هذه السلطة لم يعد لها أرضية اليوم في شعب قد انتفض بكل شرائحه علينا القطيعة التامة مع عصابة إجرامية متواحشة..

تلمس ذلك بوضوح حين تعبّر عبر معيار السلام وتدخل الأراضي السورية، حيث كل شيء ينضج بالحرية وبسوريا الجديدة.. نحن الخطى صوب إعزاز، حيث مقبرة الدبابات ومنها إلى "مارع"، حيث مسقط رأس البطل عبد القادر الصالح قبله الله في عليين..

نصل إلى حلب وننام ليلتنا فيها.. كانت عودة بمثابة عودة الروح الشامية إلى جسد ودعها منذ زمان.. في الصباح يُعرفنا دليلنا على الشيخ "مارع" القائد العسكري للواء التوحيد عبد القادر الصالح..

شاب في الثالثة والثلاثين من عمره كان تاجراً متوسطاً قبل الثورة، وقدم كل ما يملك من أجل تمويل كتيبته التي أنشأها في بداية الثورة وشاركت في هدم صرح المخابرات العسكرية المجرم بإعزاز، وخاضت ما وصف بمجازرة الدبابات، والتي دمر فيها 11 دبابة..

الشيخ "مارع" لا بروتوكولات لديه.. لباسه أقل من لباس أي جندي لديه.. أقرب إلى البساطة والعفوية.. التوكل زاده وحب المسلمين والمujahideen بكافة أشكالهم وألوانهم عدته.. لا يحب النميمة ولا القيل والقال، ولا يلتفت لكل من يثبط أو يتسلط على الطريق..

مباشرة عرض علينا كل أنواع المساعدة من أجل تأمين مهمتنا الصحفية كما نريد.. وفر لنا كل شيء حماية.. وجوا نفسياً.. ولقاءات مع كل فصائل المجاهدين والثوار دون أن يطلب لنفسه أو للوائه شيئاً..

كان واضحاً لديه الهدف.. إسقاط النظام السوري المجرم.. وإقامة دولة إسلامية شورية.. ولذا فقد حرص على إقامة علاقات مع كل فصائل المجاهدين، فأحبهم جميعاً وأحبوه كذلك..

فقدما تجد شخصية مجتمع عليها كشخصيته... الرجولة والبطولة له عنوان.. لم يتأخر عن مساعدة أحد، وكان حرصه على تمتين الصدف وتوثيق العلاقة بين المجاهدين والحاضنة الشعبية على رأس أولوياته...

ولا زلت أذكر حين كنا معه يوم اقتحم مباني الدفاع المدني وهو في أوج المعركة، ولما سمع عن خلاف وقع بين مقاتليه وأهالي منطقة حلبيه ترك كل شيء وركب السيارة فرافقاً إلى المكان..

ولما وصلنا لم يبرح المكان حتى أصلح بين الطرفين، وجعل المجاهد يقبل رأس الرجل المسن الذي اختلف وتنافس معه.. انقض النزاع ليعود إلى المعركة وهو يردد في سيارته بما معناه لا بد أن تكون صلتنا بالناس قوية، وإنما فنحن نستنسخ نظاماً طائفياً نسعى للإطاحة به..

(2) أول ما يشدك إلى الحاجي مارع هو شعورك من أول ما تلقاه أن ظاهره كباطنه.. لا يعرف التلون.. لباسه البسيط المتواضع قد يعكس ما في داخله..

وأكثر ما يشدك أيضاً مقته للحزبية وتأكيداته على محبة المسلمين جميعهم...

لا زلت أذكر قصته لي حين التقى بضباط دولة مجاورة طالباً منهم تزويده بصواريخ متقدمة أرض جو لوقف دك وتدمير مدينة حلب الشهباء، وقد كان قلقاً جداً على مظاهر الخراب والدمار فيها..

ولما واجهه الضباط بأن خوفهم هو من سقوط هذه الصواريخ المتقدمة بأيدي مسلحين متشددين حسب توصيفهم، وبالتالي

لا بد من ضمانت عدم وقوعها بتلك الأيدي، رد "حاجي مارع" رداً مفهماً، فقال لهم: "خذوني أسيراً لدكما حتى يتم إسقاط طائرات العصابة المجرمة ثم أفرجوا عنى بعد أن تطمئنوا على استخدام الصواريخ"، مما كان من الضباط إلا أن بكوا أمامه... وأغلقوا الموضوع..

"الحاجي مارع" قمة في البساطة.. يذكرك بقول السلف "أحب إخواني الذي لا يتكلف لي"، عرض علينا مرة أن نتعشى عنده، وظلّلنا ننتظر العشاء حتى الساعة الثانية عشر ليلاً..

وفوجئنا بإرساله شخصاً من طرفه لينقلنا إلى شقته السرية في حلب.. وجذناه متعباً منهكاً مستلقياً على فراش أكل عليه الدهر وشرب.. نهض مسلماً علينا ومعترضاً عن التأخير، فالأشغال لم تسمح له بالعودة إلى بيته إلا الآن..

بساطته المعهودة الرائعة التي أحبه الجميع بسببها ولغيرها من الخلال الجميلة، نادى على جنوده ماذا أعددتم لنا، فإذا بالملوخية والأرز يقدم مع كلمات في غاية الأدب سامحونا على التقصير.

كنا حين نرافقه إلى مقرات الجماعات الجهادية الأخرى.. نراه يتودد لبعض أتباعهم أكثر حتى من جنوده..

يقول لنا إنهم مجاهدون وأبطال وهم أفضل من كثير من جنودنا.. لا بد أن نحارب الحزبية وأن نعمل كمسلمين وسوريين من أجل مستقبل أفضل.

[المصريون](#)

المصادر: